مجلة العلوم الإسلامية والحضارة رقم ISSN 2477 – 9903
المجلد 08 ـ العدد 02 ـ السنة 2023 ص 329 - 346

تعقّبات أحمد بابا التنبكتي على بدر الدين القرافي في كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"

Ahmed Baba Al-tanbukti's tracking on Badr Al-Din Al-Qarafi in his book "Nayl Al-Ibtihaj bi Tatriz Al-Dibaj"

إسماعيل زيان *

وزارة التربية الوطنية، الجزائر ziane_ismail2005@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023/02/27 تاريخ القبول: 2023/05/04 تاريخ: النشر: 2023/06/06

الملخص:

تعتبر كتب التراجم إحدى الوسائل المهمّة في دراسة التاريخ الثقافي، وذلك من خلال التعريف بالعلماء وآثارهم، ولهذا تستهدف هذه الورقة دراسة أحد تلك الكتب المتعلّقة بتراجم علماء المالكية المسمّى "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" للشيخ أحمد بابا التنبكي، وذلك من خلال دراسة جانب منه، وهو تلك التعقّبات التي أوردها التنبكتي على الشيخ بدر الدين القرافي وكتابه "توشيح الديباج وحلية الابتهاج"، حيث استدرك عليه وتعقّبه في بعض التراجم التي ذكرها في كتابه،إضافة إلى ذلك، فالدراسة ستبرز القيمة العلمية للتنبكي والقرافي، من خلال الترجمة لهما وذكر بعض آثارهما، ومدى استفادة التنبكتي من كتاب بدر الدين القرافي.

الكلمات المفتاحية: أحمد بابا التنبكتي؛ بدر الدين القرافي؛ تراجم؛ علماء مالكية.

* **المؤلف المرسل**

doi: https://doi.org/10.55781/rsic.v8i2.481

Abstract:

Biographies books are considered one of the important means in the cultural history study, through the scholars definition and their monuments, and for this reason, this paper aims to study one of those books related to Malikia scholars biographies called "Nayl Al-Ibtihaj Bi Tatriz Al-Dibaj" by Shiekh Ahmed Baba Al-tanbukti, by studying one of aspect of it, which is those implications that Al-tanbukti reported on Shiekh Badr Al-Din Al-Qarafi and his book "Tawchih Al-Dibaj Wa Hilyat Al-Ibtihaj", where he reconciled and tracked him in some biographies that he mentioned in his book, and the benefit of Al-tanbukti from Badr Al-Din Al-Qarafi's book.

Keyword: Ahmed Baba Al-tanbukti, Badr Al-Din Al-Qarafi, Biographies, Malikia.

مقدمة:

كان علم التاريخ عند العرب في بداية أمره ذكرا للحوادث والوقائع وسير الأوّلين، وتناقلته الأجيال من عصر إلى عصر عن طريق المشافهة، ولمّا بدأت حركة التدوين، بدأت الكتابة في هذا العلم –أي علم التاريخ– فظهرت كتب السير والمغازي وأخبار العرب وغيرها، وصُنّفت حسب مراد كلّ مؤلِّف، فكان منها كتب الوفيات التي رتّبت حسب السنين، وكتب الطبقات التي رتّبت حسب التسلسل الزمني لكلّ طبقة، وكتب الحوليات التي تقيّدت بحوادث السنين على الترتيب.

وبتباين العلوم والفنون كالفقه والحديث والأدب والشعر والطب، ظهرت في علم التاريخ كتبٌ تُعْنَى فقط بذكر سير العلماء أو ما يسّمى بالتراجم الذي عرّفه البعض على أنّه علم يُعنى ببيان سير الأعلام عامة وذكر حياتهم الشخصية ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم[1]، وقد ارتضى كلّ مؤلِّف لنفسه التصنيف حسب الفنون، فظهرت الكتب التي تترجم للشعراء والمحدّثين والفقهاء والأطبّاء وغيرهم، وظهرت الكتب التي تترجم للعلماء حسب الفرق العقدية، والمذاهب الفقهية، وكانت جلّها تبدأ بعصر معيّن وتنتهي بعصر المؤلِّف.

وبعد ثبات تلك التقسيمات نوعا ما وارتضائها من طرف المتأخرين، ظهرت مؤلّفات تبدأ عند انتهاء الكتب التي تقدّمتها، وكانت تعرف بالذيول، أي أنّ المؤلِّف الجديد يضع ذيلا على كتابٍ كان قد سبقه فيُلْحِقَ به ما حدث بعد الذي سبقه في التأليف، مع التقيّد بمنهج المؤلِّف الأوّل ومقصده في التأليف.

وبهذا الأمر بدأت حركة التأليفِ في فنّ التراجم بالتسارع فكثرت الكتب والذيول، إلى أن وصلت مدرسة التراجم إلى مستوى رفيع ، فتطوّرت وأصبحت تُعنى بالنطاق المحدود الزمن أو تعنى بطبقة معيّنة[2] أو بمذهب معّين، ومن ذلك كتب التراجم التي بدأت تترجم لعلماء مذهب الإمام مالك، فكان القاضي عياض من أوائل المؤلّفين الذين فطنوا لمدى أهمّية جمع تراجم المالكية ابتداء بعصر الإمام مالك وانتهاء بعصره، ثمّ جاء من بَعْدَهُ من العلماء ليكمل تلك المسيرة بالترجمة لعلماء المالكية، إلى أن وصل الأمر إلى الشيخ إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي المدني، فوضع كتابا سمّاه "الديباج المذهبّ في معرفة أعيان علماء المذهب"، فترجم لجميع أعيان المالكية الذين توفرت تراجمهم عنده، ورتّب كتابه حسب الترتيب الأبجدي، وضمّن فيه تراجم علماء عصره أيضا.

بعد ذلك جاء الشيخ بدر الدين المصري، القاضي المالكي، فوضع ذيلا على كتاب ابن فرحون وسمّاه " توشيح الديباج وحلية الابتهاج" وأكمل به تراجم العلماء من عصر ابن فرحون إلى غاية عصره، وكان الكتاب صغيرا ترجم لحوالي ثلاثمائة عالم، من المشرق والمغرب بما توفّرت له من المصادر وبما استطاع من جهد.

وفي أثناء ذلك كان الشيخ أحمد بابا التنبكتي المقيم بمراكش وقتها قد اطّلع على كتاب بدر القرافي المعاصر له، فرأى أنّ الكتاب صغير جدّا ولم يستوف ذكر علماء المالكية بعد عصر ابن فرحون خاصة علماء المغرب الإسلامي التي كانت أخبارهم منقطعة عن القرافي، فرأى التنبكتي أن يؤلّف ذيلا جديدا على ابن فرحون مستفيدا ممّا ألّفه القرافي ومستفيدا أيضا من الأصول المتوفّرة عنده في المغرب، فأخرج كتابه المسمّى "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" وهو عنوان قريب من عنوان كتاب بدر الدين القرافي.

والواقع أنّ الشيخ التنبكتي بدأ بتعقّب الشيخ بدر الدين القرافي، فخطّأه عدّة مرّات ووصف كتابه بالقصر وقلّة المصادر، ولم يذكر اسم القرافي في مقدّمة كتابه بل ذكره بكلمة "رجل" فقط، ولهذا ستأتي هذه الورقة لجمع كلّ التعقّبات التي أوردها التبنكتي على القرافي، ولتبيين مدى استفادة التنبكتي من القرافي مع تهوينه لقيمة كتابه.

لذا سأقوم بوضع بعض الإشكاليات بعد الترجمة للشيخين، لتجلية الهدف من الموضوع ومنها:

- ما هو باعث كلٍّ من الشيخين القرافي والتنبكتي على التأليف ؟
- ما هي مصادر كلّ واحد منهما؟
- ما هي التعقّبات التي أوردها الشيخ أحمد بابا التنبكتي على الشيخ بدر الدين القرافي؟
- ما مدى استفادة التنبكتي من تراجم بدر الدين القرافي؟

1.ترجمة الشيخ بدر الدين القرافي

1.1 اسمه ومولده ونشأته

هو مُحَمَّد بن يحيى بن عمر بن يونس، بدر الدين، القرافي، المصري. من علماء المالكية بمصر. ولد سنة 939هـ، نشأ بمصر وأخذ الفقه عن علمائها في وقته أوّلهم والده، والشيخ عبد الرحمن بن علي الأجهوري والشيخ زين بن أحمد الجيزي، وسمع الحديث عن الشيخ يوسف بن القاضي زكريا والنجم الغيطي والصالح أبي عبد الله بن أبي الصفا البكري. ولّي قضاء المالكية فكان رئيس العلماء في عصره وشيخ المالكية في بلده. توفّي سنة 1008هـ[3] .

2.1 آثـــاره

ترك الشيخ بدر الدين القرافي جملة من الكتب، وقد تتبّعها الزركلي في فهارس المكتبات ومنها: "توشيح الديباج" و"شرح على ابن الحاجب"، و"القول المأنوس بتحرير ما في القاموس"، و"توالي

المنح في أسماء ثمار النخل ورتبة البلح"، و"الدرر المنيفة في الفراغ عن الوظيفة"، و"رسالة في بعض أحكام الوقف"[4].

3.1 بدر الدين القرافي وكتابه " توشيح الديباج وحلية الابتهاج "

الباعث على التأليف

قال بدر الدين القرافي في مقدمة كتابه: «...فقد سألني بعض إخواني المالكية وخلّص خلّاني أن أضع من مطالعاتي ذيلا على كتاب العلامة إبراهيم بن فرحون المدني.....»[5]. إذن، فالباعث على التأليف هو الطلب الحثيث من بعض أهل العلم من مالكية مصر، ويبدو أنّ كثرة مطالعات بدر الدين القرافي لكتب المالكية، بل وثراء مكتبته جعلته محلّ طلب من أولئك الشغوفين بتراجم العلماء، لا سيما أنّه لم يأت أحدٌ بعد ابن فرحون ليترجم للمالكية خاصة.

مصادر الكتاب

ذكر بدر الدين القرافي جلّ المصادر التي استمدّ منها مادة كتابه، منها "الدرر الكامنة" و"إنباء الغمر" و"رفع الإصر" للحافظ ابن حجر العسقلاني، و"مشيخة ابن مرزوق التلمساني"، و"أعيان الأعيان في أنباء الزمان"، و"طبقات النحاة" لجلال الدين السيوطي، وكتاب "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" و"ذيل القضاة" للسخاوي[6]، وهي في الواقع مصادر ضئيلة جدّا مقارنة بالحيّز الجغرافي الذي يشغله علماء المالكية في المشرق والمغرب، وقد اعتذر القرافي لذلك النقص في عدد العلماء المترجم لهم بقوله: «على أنّي لم أذكر من علماء المغاربة إلّا من وصلت كتبه إليّ، أو وقفتُ على اسمه ضمن المصنّفات الفقهية أو الاستدعاءات الحاصلة لديّ، ولا وصمة على ما أنفق ما لديه وبذل ما في يديه...»[7].

وأورد بدر الدين القرافي بعد ذلك فقرة رائعة تبرز مدى إنصافه وخُلُقه حيث قال: «غير أنّي لا أنقلُ من كلام السخاوي إلّا ما يحتاج إليه التعريف من حال صاحب تلك الترجمة من مولد ووفاة

وإسناد وتصنيف، من غير تعرّض لنقيصة وضغينة ملاحظا قوله جلّ شأنه وتعالى برهانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾»[8].

2.ترجمة الشيخ أحمد بابا التنبكتي

1.2 اسمه ومولده ونشأته

هو أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن مُحَمَّد أقيت، التكروري، أبو العباس، الصنهاجي، الماسني التنبكي. من علماء السودان الغربي. ولد سنة 963هـ، ونشأ في بلدة تنبكت حيث أخذ العلم على والده فقرأ عليه علم المنطق والحديث، وعن الشيخ مُحَمَّد بغيغ الذي أخذ عنه التفسير والفقه والأصول والعربية ولازمه سنين، وعمّه أبي بكر الذي قرأ عليه النحو[9].

بعد كلّ ذلك التحصيل أصبح الشيخ أحمد بابا التنبكتي من أهمّ علماء السودان الغربي، ولما ضمّ السلطان المغربي أحمد منصور السعدي بلاد السودان إليه، كان الشيخ التنبكي أحد الرافضين لذلك، فحوصر من طرف بعض أعوان السلطان، وقبض عليه وأحضر إلى مدينة مراكش بالسلاسل، وقد كسرت ساقه جراء سقوطه من ظهر الجمل، وفي ذلك الوقت ضرب الطاعون قبيلته ففقد بعض أقاربه من بينهم ابنه، وفقد قرابة ستمائة وألف مجلّد من كتبه[10]، وأودع السجن، إلى غاية سنة 1004هـ، حيث أطلق سراحه ومن تلك اللحظة بدأت مرحلة جديدة من حياة التنبكتي، حيث انصرف للتدريس والإقراء في جامع الشرفاء بمراكش، وكثر طلاّبه وذاع صيته حتى بات يعرف بـ"التنبكتي" في جميع الأقطار المغاربية[11].

وبعد تلك المدّة التي قضاها في مراكش، سُمِحَ له بالرجوع إلى بلدته تنبكت، وكان ذلك سنة 1016هـ، فقضى مدّة عشرين سنة في بلدته مدرسّا لطلبة العلم، وانكبّ على تأليف بعض الرسائل حتى وافته المنية سنة 1036هـ[12].

2.2 آثـــاره

خلّف الشيخ أحمد بابا التنبكتي مجموعة من الكتب والرسائل في مختلف الفنون، ففي التراجم ألّف كتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" –وهو محلّ دراستنا– وهو من أجلّ الكتب التي ألّفها، ثمّ اختصره في كتاب سمّاه "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج "، وقد ذكر بنفسه جملة من تآليفه منها "المقصد في الشرح على مختصر خليل" و"نيل الأمل في تفضيل النية على العمل" و"الكشف والبيان في حكم أصناف مجلوب السودان"، وغيرها[13].

وقد دُرِسَتْ حديثا بعض رسائله في الفقه منها رسالة "الزند الوري في مسألة تخيير المشتري"[14]، ورسالة "اللمعة في أجوبة المسائل الأربعة في كتب البسملة وما معه"[15]، وغيرها

3.2 التنبكتي وكتابه "نيل الابتهاج بتطريز الديباج"

الباعث على التأليف

ذكر التنبكتي في مقدّمة كتابه الباعث على التأليف، لكن قبل ذلك بدأ بتعريف فضل الترجمة للعلماء والأئمة، وثمرة ذلك من تمييز الصالح منهم من الطالح، والمسخوط من المقبول، ومعرفة ذوي العدل منهم من المجاهيل، ثمّ ذكر أصناف الكتب التي عنيت بالترجمة للعلماء، والتي اختلفت حسب الفنون فمنهم من ترجم لأهل الحديث ومنهم من ترجم لأهل الفقه، ومنهم من ترجم لرجال المذهب الواحد كمذهب مالك. ثمّ ذكر الرجال الذي اختصّوا بجمع تراجم علماء المالكية، فذكر القاضي عياض وابن حماد وابن رشيق وابن علوان، ثمّ استرسل في ذكر ابن فرحون وكتابه "الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب"[16].

بعد ذلك ذكر باعثه على تأليف كتابه بقوله: «فما زالت نفسي تحدّثني من قديم الزمان، وفي كثير من ساعات الأوان، باستدراكي عليه[17] ببعض ما فاته أو جاء بعده من الأئمة الأعيان، فقيّدت فيه بحسب الإمكان، حين كنت ببلد بعيدة عن نيل المقصد من ذلك، لبعدها عن مدن

العلم وكتب هذا الشأن، فقصر بي الحال مع عدم مساعدة الزمان، لما بلينا به من حوادث الوقت وفتنة تشغل عن كل فرض، وترمي بشرر كالقصر في الطول والعرض»[18].

ويبدو أنّ التنبكتي لمّا اطّلع على كتاب بدر الدين القرافي، انقدح في نفسه أن يفعل مثل صنيعه، ويبدو أيضا أنّه تحسر على إحراز بدر الدين القرافي قصب السبق قبله، فعرّض به ولم يذكر اسمه في مقدّمة كتابه، بل زاد على ذلك أن انتقص نوعًا ما من تأليفه الذي كان من الأجدر – حسب رأيه– أن يكون غنيّا خاصة أنّه من أهل مصر ومن أهل الرياسة الذين جُمِعَتْ لهم الكتب، كلّ ذلك بقوله: «إنّا لم نجد أحدًا تعرّض لجمع ذلك بعد ابن فرحون، أو تصدّى لذلك في جدّ أو مجون، إلا رجلًا واحدًا من أهل العصر، ذكر في مجموعٍ نحو ثلاثمائة رجل، بيّض لتراجم منهم لم يجد لمعرفتهم سبيلًا، ولا ذَكَرَ من حالهم كثيرًا ولا قليلًا، مع أنّه من أهل مصر والقاهرة، وله حظ من الرياسة الظاهرة، وعنده من الكتب، على ما قيل، ما لا يحصى، لما ناله من السعادة الباهرة، وقِدْمًا قيل "نعم العون على العلم الرياسة"...»[19].

ومع إهمال التنبكتي لذكر اسم بدر الدين القرافي في مقدمته واقتصاره على قوله: "قال بعضهم"، إلّا أنّ مقدّمة كتابه نسخة طبق الأصل من مقدمة كتاب بدر الدين القرافي مع بعض الاختصار، وفي هذا منقصة للتنبكتي الذي لم يستطع تصدير كتابه بمقدمة من بنات أفكاره معزّزة بكلام العلماء، بل اقتصر على مقدمة بدر الدين القرافي !

أمّا الكلام الذي ذكره التنبكتي عن بدر الدين القرافي، أي اقتصاره على ذكر تراجم لثلاثمائة عالم، فقد أجاب عنه بدر الدين في مقدّمته حيث قال: «...ولا وصمةَ على ما أنفقَ ما لديه وبذل ما في يديه...»[20]، وكأنّه استشرف في جملته هذه لما سيقوله التنبكتي عنه، فذكر أنّه بذل وسعه وأنفق ما لديه، وليس من الإنصاف الانتقاص من عمله.

هذا وقد ختم بدر الدين القرافي كتابه بخاتمة اعتذر فيها لنفسه بقوله إنّ هذا ما تيسّر جمعه وترتيبه، وذلك بسبب استعجال الباعث للتأليف –أي أولئك الذين طلبوا منه ذلك– ثمّ تمنّى ورجا

من الله أن ييسّر له وضع كتاب حافل يشتمل على المزيد من تراجم علماء المالكية ابتداء من الإمام مالك ووصولا إلى عصره[21]، إلّا أنّ المنية –فيما يبدو– قد باغته وحالت دون أمله.

مصادر الكتاب

لقد كانت مادة كتاب التنبكتي أغزر بكثير من مادة كتاب بدر الدين القرافي، والقارئ لمقدمة كتابه يلحظ مراد التنبكتي في تصوير عمله على أنّه أتى بعد جهد كبير، وأنّه أُلِّفَ في مكان مقطوع عن العلم، حيث قال: «فما الظنّ بمن في طرف من آخر المعمور، خالٍ عن العلم وأدواته، خادعِ نفسه بسراب التمنّي والغرور؟ ولولا فضل المولى ذي الفضل والإحسان، الذي يفتح على من يشاء من عباده بما شاء من أنواع الامتنان، ما جمعتُ في هذه الكراريس ما تيسّر لي من ذلك ممن ليس في ديباج ابن فرحون مذكورة»[22].

لكنّ الذي ذكره التنبكتي في المقدمة يناقض –في رأيي– ما ذكره في الخاتمة، ففي المقدمة عاب على بدر الدين القرافي عدم تمكنه من الإحاطة بعلماء المالكية مع وجوده بمصر بلد العلم، وتغلغله في سمط أصحاب الرياسة، لكنّه في خاتمة كتابه ذكر مصادر مادته من الكتب التي لم يكن بدر الدين ليحلم بالاطلاع عليها، لأنّ جلّها من تأليف علماء المالكية المغاربة، منها كتاب "التشوف في رجال التصوف" للتادلي، و"ذيل ابن الأبار لصلة ابن بشكوال"، و"تاريخ ابن الزبير"، و"رحلة العبدري"، و"رحلة أبي القاسم التجيبي"، و"مشيخة الإمام المقري" و"فوائده"، و"تاريخ المدينة" لابن فرحون، و"رحلة خالد القتوري"، و"فهرست" أبي عبد الله الحضرمي، و"الإحاطة" لابن الخطيب ، و"تاريخ ابن خلدون"، و"فهارس" أبي زكرياء السراج، وابن الأحمر، والمنتوري، و"مرويات" الإمام ابن مرزوق الحفيد، و"الكوكب الوقاد فيمن دفن بسبتة من العلماء والزهاد"، و"رحلة ابن الخطيب القسنطيني" و"وفياته"، و"رحلة القلصادي"، وأشياء من "كناشة أحمد زروق"، و"فهرسة ابن غازي"، و"الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون" لابن غازي، و"تاريخ النحاة" و"تاريخ مصر" و"المعجم الصغير" للسيوطي، وبعض "فوائد الإمام الونشريسي" و"وفياته"، و"النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب" لابن صدر التلمساني، وتأليف الملالي في "مناقب السنوسي"، و"فهرسة الشيخ المنجور"، وفهرسة "الشيخ عبد الواحد الفيلالي"، وغيرها من المعاجم

والكناشات والمجاميع، والأشياء التي أخذها من بطون كتب الفقه وغيرها، بل زاد على ما كتبه تلك الفوائد التي أخذها مشافهة من شيوخه مثل والده، والشيخ مُحَمَّد بن يعقوب الأديب المراكشي، وغيرهما[23].

3.تعقّبات التنبكتي على القرافي

لقد وقفتُ عند مطالعتي للكتابين –وحسب الطاقة– على تعقّبات للتنبكتي على القرافي، وقد بلغت حوالي ستة تعقّبات لستة علماء من المالكية، وسأورد في هذا الموضع تلك التعقّبات مع وضع اسم العالم المترجم له كعنوان، فأقول:

إبراهيم بن مُحَمَّد المدني

قال بدر الدين القرافي: ذكره ابن الرئيس[24] في كتابه "المقصد الواجب"، ووصفه بأنّه رجل صالح مجاب الدعوة، وأنّه شرح مختصر ابن الحاجب في ثمان مجلدات، وأنّ له تأليفا في اصطلاح ابن الحاجب منثورا، احتوى على عشرين فصلًا، وقال: وقد وقفتُ عليه ورأيتُ عليه خطّ شيخنا الإمام القوري، وتوفّي أوّل القرن التاسع[25].

تعقّب التنبكتي: قلتُ: وعندي أنّ هذا المترجم به هو برهان الدين ابن فرحون صاحب الديباج المتقدّم لا رجل آخر فتحقّقه، والله أعلم[26].

قلتُ: الأمرُ مشكلٌ، فالتنبكتي قال إنّ ابن الزبير هو من ذكر ذلك الأمر وليس ابن الرئيس، وإذا علمنا أنّ ابن الزبير توفّي سنة 708هـ، فلا مجال لالتقائه مع إبراهيم بن مُحَمَّد بن فرحون المتوفّى سنة 799هـ، ولهذا خطّأ التنبكتي بدر الدين القرافي، وقال إنّ المترجم له ما هو إلّا برهان الدين ابن فرحون استنادا على قول القرافي الذي ذكر أنّه توفّي أوّل القرن التاسع وهو مطابق لزمن وفاة ابن فرحون، والله أعلم.

أحمد بن عبد اللَّه البوشي المالكي

قال بدر الدين القرافي: كان حافظًا لفروع مذهب مالك، من شيوخ إبراهيم بن يخلف التنسي، وممّن أخذ عن صاحب الترجمة العلّامة الشهير مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مرزوق[27].

تعقّب التنبكتي: قلتُ: قوله: أخذ عنه إبراهيم بن يخلف التنسي غير صحيح، وصوابه، واللَّه أعلم، أن يقول: أخذ عن إبراهيم بن يخلف، واللَّه أعلم[28].

قلتُ: يبدو أنّ تعقيب التنبكتي صحيح، لأنّ الشيخ إبراهيم بن يخلف التنسي كان من أهل المغرب، وقد استقرأ التنبكتي جميع كتب التراجم والرحلات التي ألّفت قبله، وهو أعلم به من القرافي الذي لم يسعفه الحظ على مطالعتها، والله أعلم.

أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مرزوق الكفيف

قال بدر الدين القرافي: قلتُ: وهو والد العلّامة مُحَمَّد الآتي، المعروف بحفيد ابن مرزوق[29].

تعقّب التنبكتي: وتوهّم الشيخ بدر الدين القرافي هذا المصري العصري أنّه ولد الإمام الحفيد ابن مرزوق وليس كذلك بل هو حفيده ولد ولده الكفيف، كما علمت واللَّه أعلم[30].

قلتُ: قول التنبكتي صحيح، وهو معلوم لمن اطّلع على ترجمته.

عبد اللَّه بن مُحَمَّد موسى العبدوسي

قال بدر الدين القرافي: وممّن أخذ عنه العلامة مُحَمَّد بن غازي، ووصفه في كتابه "التعلّل برسوم الإسناد" الشيخ الفقيه الحافظ المحدّث[31].

تعقّب التنبكتي: وما ذكر الشيخ بدر الدين القرافي من أنّ ابن غازي أخذ عنه لا يصح، وإنّما أخذ عن أصحابنا كالقوري والنيجي، وحيث نُقِلَ عنه فإنّما يقول فيه شيخ شيوخنا[32].

قلتُ: ما ذكره التنبكتي هو الصحيح، ودليل ذلك ما أورده ابن غازي في فهرسه حيث ذكر شيوخه الذين أخذوا عن الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد العبدوسي عالم فاس[33]، ولم يذكر أنّه أخذ عنه أبدا، وهناك دليل آخر يعضد ذلك وهو أنّ وفاة العبدوسي كانت سنة 849هـ أمّا مولد ابن غازي كان سنة 841هـ ولم يرتحل إلى فاس إلّا سنة 858هـ[34]، أي لا مجال لالتقاء الرجلين.

مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن عمر الوانوغي

قول القرافي: وله حاشية على التهذيب للبراذعي في غاية الجودة، محتوية على أبحاث جليلة مرتبة على مقدمات منطقية، ووضع عليها المشدالي الآتي بعد هذا ذيلا فائقا[35].

تعقّب التنبكتي: قلتُ: محشّي المدوّنة إنّما هو أبو مهدي عيسى الوانوغي، كما ذكر المشذالي في أوّل تكميلته، وهو أيضًا من أصحاب ابن عرفة، حجّ عام ثلاثة وثمانمائة ورجع لبلاده كما في الحاشية، وصاحب الترجمة بقي بالمشرق حتى مات، كما تقدم، والله أعلم[36].

قلتُ: أخطأ التنبكتي فيما ذكر، والصحيح ما ذكره بدر الدين القرافي، والكتاب طُبِعَ سنة 2014م، وقد أجاد محقّق الكتاب الأستاذ أحمد بن عبد الكريم نجيب في إثبات ما ذكره بدر الدين القرافي وإبطال قول التنبكتي حيث قال إنّ ابن القاضي في كتابه "درة الحجال" والحطاب المالكي في كتابه "أحكام الوقف" وغيرهما أثبتوا تلك النسبة، إضافة إلى اسمه المكتوب في المخطوطة الموجودة بالخزانة العامة بالرباط[37].

مُحَمَّد بن إبراهيم التنائي

قال بدر الدين القرافي: سمعتُ بعض أشياخي يقول: أخذ ما تعب فيه أبو الحسن الشاذلي مما جمعه في شروحه على الرسالة الستة ووضعه في شرحه باختصار[38].

تعقّب التنبكتي: قلتُ: ما قاله بعض شيوخه غير مسلّم، بل من وضع شرحه على خليل وغيره، ولا يصعب عليه وضع شرح على الرسالة حتى يستعين بما ذكره، وإنّما هو تحامل وعصبية، اللهم غفرًا، والله أعلم[39].

قلتُ: إنّ القرافي نَقَلَ ما سمعه من بعض شيوخه وليس في ذلك إقرار أو تأكيد، أمّا دفاع التنبكتي عن التتائي فجميلٌ لأنّه من باب إحسان الظنّ به، ولأنّ القرافي لم يذكر دليلا على ذلك، والله أعلم.

ما مدى استفادة التنبكتي من القرافي؟

لكن مع تلك التعقّبات، فلا مجال للشك أنّ التنبكتي استفاد كثيرا من كتاب بدر الدين القرافي، ومن ذلك ما نقله في ترجمة أحمد بن عمر المزجلدي[40]، وأحمد بن موسى بن عبد الغفار[41]، وبهرام بن عبد الله بن عبد العزيز[42]، وحمزة بن مُحَمَّد البجائي[43]، وخضر زين الدين البحيري[44]، وسليمان بن شعيب بن خضر البحيري[45]، وعبد الرحمن الشهير بابن قاسم[46]، ويحيى بن أحمد العُلمي القسنطيني[47].

بل إنّه في بعض المرّات ينقل الترجمة كاملة من البدر القرافي، خاصة إذا تعلّق الأمر بأهل مصر من العلماء أو أقارب بدر الدين القرافي، ومن ذلك ترجمة يحيى بن عمر القرافي والده[48]، ومُحَمَّد بن عبد الكريم الدميري جدّه[49]، وزين بن أحمد بن يونس الجيزي[50]، وعبد الرحمن بن الحاج التاجوري[51]، وعلي بن مُحَمَّد المنوفي[52]، ومُحَمَّد بن حسن اللقاني[53]، ومُحَمَّد بن إبراهيم التتائي[54].

الخاتمة:

كانت هذه المقالة إبانة عن تعقّبات الشيخ أحمد بابا التنبكتي على الشيخ بدر الدين القرافي في بعض تراجم علماء المالكية، وقد ساهمت المقالة في التعريف بالشيخين وفي إيراد الباعث على التأليف لكلّ واحد منهما، وقد أبرزت هذه المقالة —ولو قليلا– أهمية كتب التراجم في إثراء التاريخ الثقافي للعالم الإسلامي، وذلك من خلال سرد سير العلماء المتقدّمين في شتى العلوم الشرعية والوضعية.

وقد وضّحت هذه المقالة مدى اهتمام علماء المالكية بالترجمة لأسلافهم الذين تمذهبوا بمذهب الإمام مالك، ابتداء من عالم المدينة الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ووصولا إلى عصرنا

الحاضر، ولا شكّ أنّ تلك التراجم ساعدت في تدوين التراث المالكي، لأنّها لم تقتصر على ذكر حياة العلماء بل تعدّى ذلك إلى ذكر مؤلّفاتهم وبعض آرائهم وفتاويهم عَرَضًا في كلّ ترجمة.

أمّا الشيء المهمّ الذي خرجت به هذه الورقة البحثية فهو إبراز مدى استفادة التنبكتي من كتاب بدر الدين القرافي ابتداء من فكرة إكمال كتاب "الديباج المذهّب" مرورا بالاعتماد عليه في بعض تراجم أهل المشرق التي كانت مخفية عنه، ثمّ وصولا بذكر بعض الانتقادات عليه، والتي كان مصيبا في جلّها بسبب توفّر المصادر له عكس القرافي.

ولأجل ما سبق فيجدر بنا وضع بعض التوصيات التي من شأنها المضي قدما بالكتابة حول التراجم إلى مكانة علمية عالية ومنها:

- محاولة تحقيق الكتب التي تهتم بعلم التراجم خاصة علماء المالكية.

- إعادة قراءة كتب التراجم، ومحاولة وضع دراسات نقدية لها من خلال المقارنة مع الكتب المطبوعة حديثا.

- عدم الاعتماد في الدراسات على كتب معيّنة وغض الطرف عن الباقي، بل يجب الاستفادة من جميع الكتب، كي تكون الدراسة حول المترجَمِ له دراسة وافية وعلمية.

- إعادة بعث مشروع الترجمة لعلماء المغرب الإسلامي عامة والجزائر خاصة، اقتداء بمن سبقنا من المؤلّفين، ومحاولة وضع كتب مفردة لأعلام الجزائر وإعادة بعث تراثهم المخطوط.

قائمة المصادر والمراجع:

1. خولة علي حسن صالح، مريم أحمد زنان الزهراني، صورة المعلم في كتب التراجم: كتاب تهذيب الكمال نموذجا، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، المجلد 05، العدد 01، 2020م، صفحات 49-88.

2. علي المدارمة، منهج المحبّي من خلال كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، المجلد 49، العدد 5، 2022م، صفحات 419-430.

3. أمين الدين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بدون تاريخ، لبنان.

4. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002م.

5. بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004.

6. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، المغرب، 2000م.

7. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، ليبيا. بدون تاريخ.

8. أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

9. أحمد بن عمر الوانوغي، تعليقة على تهذيب المدونة، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب وحافظ بن عبد الرحمن خير، طبع على نفقة ولي عهد دبي، الإمارات، ط1، 2014م.

10. أبو عبد الله الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1981م.

11. مُحَمَّد بن غازي، فهرس ابن غازي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1984م.

12. عبد اللطيف بوقنادل، تقديم مخطوط الزند الوري في مسألة تخيير المشتري للإمام أحمد بابا التنبكتي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 15/ديسمبر، 2016م، ص 217-240.

13. سمير يحيى سمراد، قراءة في مخطوط "اللمعة في أجوبة المسائل الأربعة في كتب البسملة وما معه"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 13/جوان، 2015م، ص 8-19.

الهوامش:

(1) خولة علي حسن صالح، مريم أحمد زنان الزهراني، صورة المعلم في كتب التراجم: كتاب تهذيب الكمال نموذجا، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، المجلد 05، العدد 01، 2020م، ص 54. الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/109882

(2) علي المدارمة، منهج المحبّي من خلال كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، المجلد 49، العدد 5، 2022م، ص 420. الرابط: https://doi.org/10.35516/hum.v49i5.3491

(3) أمين الدين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، لبنان، ج4، صفحات 258-262.

(4) خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، ط 15، 2002م، ج7، 141.

(5) بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2004، ص 13.

(6) نفسه، ص 14-15.

(7) نفسه، ص 14.

(8) نفسه، ص 15.

(9) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، المغرب، 2000م، ج2، ص 281-282.

(10) أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب – الدار البيضاء، ج5، ص 130.

(11) أبو عبد الله الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1981م، ص 35.

(12) نفسه، ص 37.

(13) نفسه، ص 37.

(14) عبد اللطيف بوقنادل، تقديم مخطوط الزند الوري في مسألة تخيير المشتري للإمام أحمد بابا التنبكتي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 15/ديسمبر، 2016م، صفحات 217-240.

(15) سمير يحيى سمراد، قراءة في مخطوط "اللمعة في أجوبة المسائل الأربعة في كتب البسملة وما معه"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 13/جوان، 2015م، صفحات 8-19.

(16) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، ليبيا، ط2، صفحات 27-28.

(17) أي على ابن فرحون.

(18) نفسه، ص 28.

(19) نفسه، ص 29.

(20) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 14.
(21) نفسه، ص 262-263.
(22) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 29.
(23) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، صفحات 640-641.
(24) عند التنبكتي "ابن الزبير".
(25) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، صفحات 26-27.
(26) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 53.
(27) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 55
(28) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 92.
(29) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 35.
(30) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 137.
(31) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 96.
(32) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 232.
(33) ابن غازي، فهرس ابن غازي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1984م، صفحات 54-60-62-67-88-111-119.
(34) ابن غازي، نفس المرجع السابق، ص 3.
(35) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 157.
(36) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 486.
(37) أحمد بن عمر الوانوغي، تعليقة على تهذيب المدونة، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب وحافظ بن عبد الرحمن خير، طبع على نفقة ولي عهد دبي، الإمارات، ط1، 2014م، ج1، صفحات 39-40.
(38) بدر الدين القرافي، نفس المرجع، ص 171.
(39) أحمد بابا التنبكتي، نفس المرجع، ص 588.
(40) نفسه، ص 124.
(41) نفسه، ص 140.
(42) نفسه، ص 149.
(43) نفسه، ص 164.
(44) نفسه، ص 166.
(45) نفسه، ص 186.
(46) نفسه، ص 262.
(47) نفسه، ص 637.
(48) نفسه، ص 638.

(49) نفسه، ص 589.

(50) نفسه، ص 181.

(51) نفسه، ص 263.

(52) نفسه، ص 344.

(53) نفسه، ص 586.

(54) نفسه، ص 588.